موازنة بين كتابَي: القراءات وعلل النحويين فيها للأزهريّ وحجة القراءات لابن زنجلة

دكتور/ سعد بن محمد آل عثيمين
أستاذ القرآن الكريم وعلومه المساعد
قسم الدراسات الإسلامية المعاصرة
كلية العلوم والدراسات الإنسانية في حوطة سدير
جامعة المجمعة

ملخص البحث

ذَكَرَ لنا شيخنا وأستاذنا الدكتور: إبراهيم بن سعيد الدوسريّ أنّ هناك مَن يثير بأنّ كتاب حجة القراءات لابن زنجلة هو نسخة من كتاب القراءات وعلل النحويين فيها للأزهريّ لا اختلاف بينهما! وكان قد أشار بتقصي حقيقة هذا القول من خلال عقد موازنة بينهما؛ فجاءت هذه الدراسة التي تهدف إلى الموازنة بين الكتابين، لأجل الخروج برأي يثبت صدق هذه الدعوى أو بطلانها.

تحدثت فيها أولاً عن التعريف بالمؤلفَين: الأزهريّ، وابن زنجلة، ثم بكتابَيهما، ثم نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما، ثم كانت النتيجة التي ثبت بها أن هذه الدعوى غير صحيحة، وأن كتاب حجة القراءات لابن زنجلة يختلف عن كتاب القراءات وعلل النحويين فيها للأزهريّ.

وأوصى البحث بدارسة موسعة عن القياس في القراءات بين أبي منصور الأزهريّ وأبي زُرعة ابن زنجلة.

الكلمات المفتاحية: الأزهريّ، ابن زنجلة، مقارنة

Abstract

Our Sheikh and Professor, Doctor: Ibrahim bin SaeedAL- Dossary, told us that it is argued that the book of *The Evidence of Readings* by Ibn Zanjela is a replica of *The Book of Readings* by Al-Azhari.Supporting Al-Azhari's readings, the grammarians argued for the conformity of both texts.Thus, Sheikh: Ibrahim bin SaeedAL- Dossary has already recommended the examination of this contention through a comparative study involving both texts.In this light, this study is conducted to prove the validity or invalidity of this claim.

The study is structured as follows. At the outset, both authors, Al-Azhari and Ibn Zanjala, are introduced. Then, a comparative study between their books is staged with respect to their similar and distinct points.The study comes to the conclusion that the above-mentioned contention is fallacious as both books are not identical or analogical. The research recommendedto delve deeply in the study of the analogy in both books,*The Evidence of Readings* by Ibn Zanjala and *The Book of Readings* by Al-Azhari.

Key Words: Al-Azhari, Ibn Zanjela, comparative study.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، تذكرة لأولي الألباب. كَشَفَ به الأدواء والعلل، وأقام به الحجة على أهل الملَل، وأَمَرَ فيه بإقامة الوزن، ونهى عن الزلل.

والصلاة والسلام على نبينا محمد الهادي إلى الصراط المستقيم، وعلى آله، ورضي عن صحابته وتابعيهم إلى يوم الدين.

أما بعد فإنَّ التأليف في القراءات تَنَوَّع؛ فكانت هناك مؤلفات تعنى بجانب الرواية، ومؤلفات تعنى بجانب الدراية، ومؤلفات جمعت ما بين الجانبين، ومن المؤلفات التي جمعت ما بين الجانبين، كتابا: القراءات وعلل النحويين فيها للأزهريّ، وحجة القراءات لأبي زرعة ابن زنجلة.

سبب اختيار الموضوع (مشكلة البحث):

الكتابان المشار إليهما سابقًا من كتب القراءات الحافلة بالاحتجاج. وقد ذكر لنا شيخنا وأستاذنا الدكتور: إبراهيم بن سعيد الدوسريّ أن هناك مَن يثير بأنّ كتاب حجة القراءات لابن زنجلة هو نسخة من كتاب القراءات وعلل النحويين فيها للأزهريّ لا اختلاف بينهما! وكان قد أشار بتقصي حقيقة هذا القول من خلال عقد موازنة بينهما؛ ومن هنالك جاء البحث عن هذا الموضوع الذي سميته: (موازنة بين كتابَي: القراءات وعلل النحويين فيها للأزهريّ، وحجة القراءات لابن زنجلة).

الموضوع وأهميته:

تظهر أهمية هذه الدراسة من ناحيتين:

١. منزلة هذين الكتابين؛ إذ هما من كتب الاحتجاج للقراءات المصنفة في وقت متقدم.
٢. أن هذه الدراسة تحاول الكشف عن حقيقة دعوى أن كتاب حجة القراءات لابن زنجلة نسخة من كتاب القراءات وعلل النحويين فيها للأزهريّ؛ لأجل الخروج برأي يثبت صدق هذه الدعوى أو بطلانها.

وسيكون البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة. أتحدث في المقدمة عن مشكلة البحث، وأساب اختياره، ومنهج البحث.

أما المبحث الأول فأتحدث فيه معرّفًا بالأزهريّ وابن زنجلة.

والمبحث الثاني أتحدث فيه معرِّفًا بكتاب القراءات وعلل النحويين فيها، وكتاب حجة القراءات.

والمبحث الثالث أعقده للموازنة بين الكتابين.

ثم آتي بالخاتمة التي أسجل فيها نتيجة البحث، وتوصياته.

وسأسلك في كتابته المنهج الاستقرائيّ الوصفيّ، مراعيًا هذه القواعد التي وَضَعْتُها لتحريره وهي:

١. الاكتفاء بترجمة موجزة للأزهريّ وابن زنجلة.
٢. الاكتفاء بالتعريف الموجز بالكتابين محل الدراسة.
٣. الإتيان عند الموازنة بين الكتابين بنماذج تؤكد ما أذكره من اتفاق أو اختلاف بين الكتابين حسبما يرد في الكلام، وذلك حين تدعو إليها الحاجة.
٤. أَرْجع في أثناء البحث إلى المصادر الأصيلة والمراجع المعتبرة ذات الصلة بالبحث، وأُوَثِّق ذلك.
٥. كتابة الآيات بالرسم العثمانيّ ببرنامج مصحف المدينة المنورة من إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٦. لم أعرّف بالأعلام الواردين؛ لكثرتهم حيث إن ذلك سيزيد من صفحات هذه الدراسة، واكتفيت بذكر سنيّ وفاتهم.

الدراسات السابقة للموضوع:

من خلال البحث عن دراسات سابقة لموازنة بين كتابَي القراءات وعلل النحويين فيها للأزهريّ، وحجة القراءات لابن زنجلة لم أعثر على دراسة بهذا العنوان أو تعنى بهذا الموضوع ابتغاءَ معالجة سبب مشكلته التي حملتني على الكتابة فيه، لكن وجدت دراسات قد أستفيد من بعضها بحيث تغذّي المبحثين الأولين منه، وهذه الدراسات هي:

١- الاحتجاج للقراءات في كتاب حجة القراءات للشيخ أبي زرعة عبدالرحمن ابن محمد بن زنجلة.

الدراسة قدمها: علي بن عامر بن علي الشهريّ للحصول على الماجستير في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة ٢٠٠٤ م.

تحدث في التمهيد عن ترجمة المؤلف، ومنزلة الكتاب، ووقف مع الأفغاني في تحقيقه وقفات، ثم ذكر العلاقة بين النحو وكتب الاحتجاج. وفي الفصل الأول كان حديثه عن: الاحتجاج في الأدوات، والفصل الثاني: الاحتجاج في التراكيب، والفصل الثالث: الاحتجاجات الصرفية، ثم الخاتمة والفهارس.

ولم يتطرق الباحث في أثناء الرسالة إلى المشكلة التي سأتناولها في بحثي.

٢- اللهجات العربية في حجة القراءات لأبي زرعة بن زنجلة: دراسة لغوية في ضوء علم اللغة الحديث.

الدراسة من إعداد: نعمات محمد عبده عمر. للحصول على الدكتوراه، في كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان، السودان، سنة ١٤٣٩ هـ.

تناولت الدراسة في التمهيد: اللهجات العربية، وفي الفصل الأول: القراءات القرآنية وحجة أبي زرعة، وفي الفصل الثاني: الظواهر اللهجية الصوتية، وفي الفصل الثالث: الظواهر اللهجية الصرفية، وفي الفصل الرابع: الظواهر اللهجية النحوية. ثم خاتمة البحث.

ولم أجد الدراسة تطرقت في المبحثين الرابع والخامس من الفصل الأول إلى المشكلة التي سأتناولها في بحثي؛ لاسيما أن أحدهما معقود للحديث عن ترجمته وآثاره العلمية ومعاصريه ومذهبه النحويّ، والآخر لمنهج الكتاب وقيمته العلمية.

٣- تحقيق الدكتور سعيد الأفغاني لكتاب: حجة القراءات لابن زنجلة، طبعة مؤسسة الرسالة، الخامسة، سنة ١٤٢٢ هـ.

وقد تحدث في قسم الدراسة عن ترجمة للمؤلف، كما تحدث عن الكتاب.

ولم يتطرق في شيء من ذلك إلى المشكلة التي سأتناولها في بحثي.

٤- تحقيق الدكتورة نوال بنت إبراهيم الحلوة لكتاب: القراءات وعلل النحويين فيها، المسمى (علل القراءات) لأبي منصور الأزهريّ، ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة، الطبعة الأولى ١٤١٢ ه.

وقد تحدثت الدكتورة في قسم الدراسة عن مؤلف الكتاب، وعن الكتاب ومنهجه فيه.

ولم تُشِر في ذلك إلى المشكلة التي سأتناولها في بحثي.

وبهذا يتبين أن هذا البحث سيجيب عن مشكلة، ويضيف شيئًا جديدًا في الدراسات القرآنية.

من الله أستمد العون، وأستلهم الرشد، وأسأل القبول.

المبحث الأول: التعريف بالأزهريّ وابن زنجلة

يَحْسُن أن يَتَقَدَّم بين يدي حديثنا هنا عن الكتابين موضع الدراسة أن نُعَرِّف بمؤلِّفيهما تعريفًا يعطي القارئ انطباعًا عن شخصيتهما، ولمحة عن تكوينهما العلميّ. وسيكون ذلك في مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالأزهريّ

هو: محمد بن أحمد بن الأزهر، أبو منصور الأزهري الهرويّ الشافعيّ.

ولد سنة ٢٨٠، وقيل: ٢٨٢ من الهجرة، وكانت ولادته في هراة، وفيها نشأ وتعلّم، ثم رحل إلى العراق، ومكة وأخذ عن علمائها، وحين قَدِم من الحج سنة٣١٢ هـ اعترض طريقَه ومَن معه الأعرابُ، حيث وقع في أسر القرامطة وبقي مدة كان لها أبلغ الأثر في تفنّق لسانه وحسه بالعربية.

أدرك الزجّاج (ت ٣١١ هـ)، وابن دريد (ت ٣٢١ هـ)، ونفطويه (ت٣٢٣ هـ) وطبقتهم، وتلقى العلم عن جلة من العلماء، منهم: محمد بن السري المعروف بابن السَّرّاج (ت ٣١٦ هـ)، وأبو عبدالله نفطويه (ت ٣٢٣ هـ)، وأبو الفضل محمد ابن أبي جعفر المنذريّ (ت ٣٢٩ هـ).

تتلمذ لأبي منصور الأزهريّ ثلة من الأئمة المعروفين بالفضل، منهم: أبو أسامة جنادة بن محمد الهرويّ (ت ٣٩٩ هـ)، وأبو يعقوب إسحاق السرخسيّ (ت ٤٢٩ هـ)، وأبو ذر عبد بن أحمد الهرويّ (ت ٤٣٤ هـ).

اشتهر الأزهريّ بعلم اللغة، وهو مع ذلك من العارفين بالفقه على مذهب الشافعيّ، وله دراية بالتفسير وعلوم القرآن، والحديث، وله مشاركة في علوم الاعتقاد، ومعدود في الأدباء. وحجة فيما يقوله وينقله. وآثاره رحمه الله شاهدة له بذلك كله.

له تآليف متنوعة بتنوع العلوم التي في صدره، منها:

١. تهذيب اللغة.
٢. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعيّ.
٣. شرح ألفاظ مختصر المُزَنِيّ.
٤. الانتصار للشَّافِعِيّ.
٥. القراءات وعلل النحويين فيها (المسمى: علل القراءات).

توفي الأزهريّ في هراة شهر ربيع الآخر من سنة ٣٧٠ هـ، رحمه الله[١].

المطلب الثاني: التعريف بابن زنجلة

مَن يَروم التعريف بهذا الإمام فيبحث عن ترجمته في مظانها يجد صعوبة في الظفر بذلك – رغم جلالة قَدْره التي يذيعها كتابه موضع الدراسة– ؛ ولذلك فإنَّ كل مَن قَدَّم دراسة تتعلق بما كتب وأراد أنْ يتحدث عنه فإنه يواجه هذه المشكلة، يقول سعيد الأفغانيّ: (لقد كان صمْتُ المصادر في كتب الرجال مطبقًا، لم أجد فيها على كثرة البحث ترجمة أو شبه ترجمة للمؤلف ...)[٢]. ويقول الشهريّ: (إنَّ شخصية أبي زُرْعة يكتنفها الغموض التام، وعلى الرغم مِن شهرة هذا الكتاب [حجة القراءات] بين كتب الاحتجاج إلا أنَّ صاحبه ظل مغمورًا، وظلت الإشارة إليه خافتة...)[٣].

ومع هذا لم يكن ذلك مانعًا الباحثين من التنقيب في الكتب ولو مِن خلال تراجم العلماء عما يمكن أنْ يُلَمْلِموا به مِن هنا وهناك ما عساه يُفْصِح عن شخصية هذا العالم الجليل.

فيذكر الأفغانيّ أنه استخلص ما يفيد عن ابن زنجلة من فوق ظهر كتاب [الصاحبي] لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، وترجمةِ ابن فارس في [الديباج المذهّب] لابن فرحون (ت ٧٩٩ هـ)، وكتابِ [سعد السعود] لرضي الدين الحسنيّ (ت ٦٦٤ هـ)، ومِن رسالة وجهها إليه كوركيس عواد يفيده فيها عن وجود مخطوط [شرف القراء في الوقف والابتداء] لابن زنجلة في المكتبة العامة ببغداد[٤]. وهو رغم ذلك لم يسلم من انتقادات في بعض ما استخلصه من معلومات عنه[٥].

وبناءً على ذلك سأورد من ترجمته ما استخلصه الدارسون مما هو سالم من الانتقاد:

فهو: عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، أبو زرعة المقرئ.

---

(١) انظر ترجمته في: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، للأنباريّ ص ٢٣٧؛ وإنباه الرواة على أنباء النحاة، للقفطيّ ٤ / ١٧٧؛ ومعجم الأدباء، لياقوت الحمويّ ٦ / ٣٦٤؛ وتاريخ الإسلام للذهبيّ ٢٦ / ٤٤٣؛ وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكيّ ٣ /٦٣؛ والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزآباديّ ص ٢٥٢؛ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطيّ ١/ ١٩؛ وطبقات المفسرين، للداوديّ ١ / ٨٣.

(٢) مقدمة تحقيق الأفغانيّ لكتاب حجة القراءات لابن زنجلة ص ٢٥ .

(٣) الاحتجاج للقراءات في كتاب حجة القراءات للشيخ أبي زُرعة عبدالرحمن بن محمد ابن زنجلة ص ١١.

(٤) يُنْظَر: مقدمة تحقيق الأفغانيّ لكتاب حجة القراءات لابن زنجلة ص ٢٥– ٢٩.

(٥) تُنْظَر هذه الانتقادات في: مقدمة تحقيق غانم قدوري الحمد لكتاب ابن زنجلة: تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه ص ٢٣٦؛ والاحتجاج للقراءات في كتاب حجة القراءات للشيخ أبي زُرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، للشهريّ ص ١١– ١٣.

كان بالمحمدية محلّة في مدينة الريّ في بلاد فارس. عاش في النصف الثاني من القرن الرابع، وأوائل القرن الخامس. فهو من رجال المائة الرابعة الحافلة بأمثال: أبي سعيد السيرافيّ (ت ٣٦٨ هـ)، والأزهريّ (ت ٣٧٠ هـ)، وأبي علي الفارسيّ (ت ٣٧٧ هـ)، وابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ).

كان مؤلفًا مجودًا في هذا الفن، متضلعًا فيه، شيخًا جليلاً.

من شيوخه ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، وأبو عبدالله الخطيب الإسكافيّ (ت ٤٢٠ هـ).

يَذْكر مَن ترجموا له أنَّ وفاته في نحوٍ مِن سنة ٤٠٣ هـ، ويُلْحَظ أن هذا التاريخ قريب من وفاة أحد شيوخه، ومتقدم في الوفاة على آخر؛ وذلك مما يُضْعِف هذا الاحتمال.

من مؤلفاته: تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه، وشرف القراء في الوقف والابتداء في الكلام المنزل على خاتم الأنبياء، وتفسير القرآن، وحجة القراءات، ومجالس أملى فيها بحوثاً في فن الإقراء؛ وبعضها موجود في كتاب سعد السعود للحسنيّ (ت ٦٦٤ هـ)[(١)].

المبحث الثاني: التعريف بكتاب القراءات وعلل النحويين فيها وكتاب حجة القراءات:

المنطق يفرض علينا قبل الموازنة أنْ يتعرَّف القارئ على الكتابين: كتاب القراءات وعلل النحويين فيها، وكتاب حجة القراءات؛ حتى تكون صورة الموازنة لديه أكثر وضوحًا؛ بحيث يدرك نقاط التشابه والاختلاف بينهما. وسيكون ذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: التعريف بكتاب القراءات وعلل النحويين فيها للأزهريّ

أ- اسم الكتاب:

وقفت على نسختين من الكتاب، كل واحدة منهما باسم مختلف.

أمَّا الأولى فبِاسْم: ((القراءات وعلل النحويين فيها)).

ولمّا جرى الأزهريّ على عادة المتقدمين فلم يذكر تسمية كتابه لا في المقدمة ولا في الخاتمة؛ اجتهدَتْ محققةُ الكتاب؛ الدكتورة: نوال الحلوة في البحث عن اسمه، ووقعتْ عليه في نَصٍّ مِن كتاب: تهذيب اللغة له نفسِه – حين تناول معنى

(١) يُنْظَر: مقدمة تحقيق الأفغانيّ لحجة القراءات ص ٢٥- ٣٠؛ والأعلام، لخير الدين الزركليّ ٣ / ٣٢٥، ومقدمة تحقيق غانم قدوري الحمد لكتاب ابن زنجلة: تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه ص ٢٣٤- ٢٤٠.

حديث الأحرف السبعة – قال فيه: (لقد أشبعتُ تفسيره في كتاب القراءات وعلل النحويين فيها ..)[١].

وكان بعض مترجمي الأزهريّ يذكرون الكتابَ بهذه التسمية في مؤلفاته[٢].

والتسمية الأخرى: معاني القراءات.

وهي موجودة على طُرّة المخطوط الذي حققه الشيخ أحمد المزيديّ، ونَشَرَتْه دار الكتب العلمية سنة ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م بهذه التسمية نفسها، وممّن سماه بهذا الاسم: فؤاد سزكين[٣]؛ اعتمادًا على ما في هذه النسخة المخطوطة[٤].

الفرق بين تحقيقَي الكتاب:

بَذَلَ كل من المحققَين: أحمد المزيديّ، والدكتورة: نوال الحلوة جهدًا يُذْكَران به، ويُشْكَران عليه إلا أن تحقيق الدكتورة : نوال الحلوة – حسب نظري – أجود؛ للأسباب الآتية:

١. أنها حققت الكتاب تحقيقًا أكاديميًّا، ولا يخفى أن له منهجًا علميًّا دقيقًا يكسب التحقيق قيمة. أما تحقيق المزيديّ فليس أكاديميًّا.
٢. قامت الدكتورة: نوال بدراسة حياة الأزهريّ، كما دَرَسَتْ منهجه في كتابه، وذلك لم يقع مثله من المزيديّ.
٣. لما لم يكن للمخطوط إلا نسخة واحدة، كانت الدكتورة: نوال توثّق من الكتب الأصيلة التي اعتمد عليها الأزهريّ ما أمكنها ذلك؛ ولذا تجدها كثيرًا ما توثّق من كتب الأئمة: كالفراء، والزجّاج، وابن مجاهد، والأزهريّ نفسه وغيرهم، بينما المزيديّ كان في توثيقه يتردد بين متقدمين ومتأخرين عن الأزهريّ؛ كالقرطبيّ (ت ٦٧١ هـ)، وأبي حيان (ت ٧٤٥ هـ)، وغيرهما.

ب– قيمة الكتاب العلمية:

يتبوّأ كتاب: القراءات وعلل النحويين فيها منزلة عالية؛ ومِن دلائل ذلك:

١. كونه أوّل كتاب احتَج للقراءات الثمان.

---

(١) يُنْظَر: تهذيب اللغة ٥ / ١١ مادة [ح ر ف] .

(٢) يُنْظَر مثلاً: معجم الأدباء ٦ / ٣٦٥ .

(٣) يُنْظَر: تاريخ التراث العربيّ ١/ ٣٦٨.

(٤) قالت الدكتورة نوال الحلوة في تحقيقها للكتاب عن تسميته [معاني القراءات]: (فربما كان هذا العنوان من صنع المتأخرين أو النسّاخ، الذين لم يقفوا على اسم الكتاب؛ فَدَعتْهم قرب مادة الكتاب من كتب معاني القرآن إلى تسميته بهذا الاسم).
يُنْظَر: مقدمة تحقيقها ١ / ١٥٣.

٢. أنه أكثرَ من رواية القراءات الصحيح منها والشاذ[١]، واعتَمَد في ذلك على الرواية عن كتب مفقودة اليوم؛ ككتاب أبي زيد الأنصاريّ (ت ٢١٥ هـ)، وكتاب أبي حاتم السجستانيّ (ت ٢٥٠ هـ)، ومعاني القرآن لثعلب (ت ٢٩١ هـ).

٣. أنه احتج للقراءات الشواذ، ووجّهها، وأَكْثَرَ من ذلك، حتى ضاهى كتابُه الكتبَ المتخصصة في الشواذ.

٤. اعتنى بالتوجيه النحوي، وجَمَعَ بين مدرستي الكوفة والبصرة.

٥. اعتمد على الرواية عن أئمة العربية، ووثّق المادة العلمية المنقولة عنهم بالسند؛ لكنّ ذلك ليس على إطلاقه[٢].

ج – مصادر المؤلف في الكتاب:

أفاد الأزهريّ من كتب وشخصيات علمية، ترددت أسماؤهم في ثنايا كتابه القراءات وعلل النحويين فيها.

وحيث إن كتابه مشتمل على ذكر القراءات، والاحتجاج لها، وكان له في كلٍّ مصادر؛ فإني جاعل الكلام في المصادر مقسمًا على هذين الاعتبارين:

الأول : مصادره في القراءات:

١. كتاب السبعة، لأبي بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) [٣]، وتبدو هذه الإفادة جلية من أول الكتاب؛ حين يبدأ في ذكر أسانيد القراء السبعة.

٢. كتاب القراءات، لأبي حاتم السجستانيّ (ت ٢٥٠ هـ)[٤]، وربما أفاد من أبي حاتم في الاحتجاج للقراءات[٥].

الثاني : مصادره في الاحتجاج للقراءات:

حين دَرَسَتْ الدكتورة: نوال الحلوة كتابَ العلل، تتبَّعَتْ مصادر الأزهري في الاحتجاج للقراءات، وقَسَمتْها قسمين:

---

(١) القراءة الشاذة: ما خرج من أوجه القراءات عن أركان القراءة المتواترة.
(معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، للدوسريّ ص ٨٣)

(٢) أفَدْتُ هذه النقاط من مقدمة محققة الكتاب الدكتورة: نوال الحلوة وهي تتحدث عن منهجه ومصادره ١ / ٢٩-٤٠، وكذلك من خلال دراستي للكتاب.

(٣) الكتاب مطبوع.

(٤) وهذا – كما مَرَّ– يعطي قيمة علمية لكتاب الأزهريّ؛ لأن كتاب القراءات لأبي حاتم مفقود.

(٥) يُنْظَر: الجزء الأول من القراءات وعلل النحويين فيها، للأزهري، ص ٣٥، و ١٩١. والجزء الثاني، ص ٤٨٤، و ٦٧٤. ذُكِرَ أبو حاتم في مواطن كثيرة؛ أحياناً ناقلاً عن غيره؛ كأبي زيد، والأصمعيّ وغيرهما؛ وأحيانًا محتجًّا للقراءات من قبل نفسه.

أولاً: المصادر البصرية؛ إذ استفاد من علماء البصرة؛ كأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، وسيبويه (ت ١٨٠ هـ)، ويونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ)، والنضر ابن شُميل (ت ٢٠٣ هـ)، وأبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ)، وأبي زيد الأنصاريّ (ت ٢١٥ هـ)، والأصمعيّ عبد الملك بن قُرَيب (ت ٢١٦ هـ)، والأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢٢١ هـ)، والمبرد (ت ٢٨٦ هـ)، والزجاج (ت ٣١١ هـ).

ثانيها: المصادر الكوفية؛ حيث استفاد من علماء الكوفة؛ كالكسائيّ علي ابن حمزة (ت ١٨٩ هـ)، والفَرَّاء يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ)، وأبي عبيد القاسم ابن سلاّم (ت ٢٢٤ هـ)، وابن الأعرابيّ (ت ٢٣١ هـ)، وابن السِّكِّيْت (ت٢٤٤ هـ) وأبي بكر الأنباريّ (ت ٣٢٨ هـ).

ولم يدرك الأزهريّ من هؤلاء الأجلاء إلا الزجّاج، والأنباريّ، وأما الباقون فوفاتهم متقدمة على ولادته، أو في سنٍّ لا يتحمل فيه عنهم رحمهم الله جميعًا.

وأضيف على المصادر التي ذكرتْها الدكتورة: نوال مصدرًا آخر؛ وهو ديوان العرب، فكثيرًا ما كان الأزهريّ يستشهد به في الاحتجاج للقراءات، فتراه في بيان وجه قراءة الحرف يُنشد الأبيات من شِعر الفحول: كامرؤ القيس(ت٥٤٠ م)، ولَبِيْد (ت٤١ هـ)، وغيرهما كثير.

أما طريقة الأزهريّ في الاستفادة من المصادر فعلى نحو ما يأتي:

١. لمّا كان أغلب مَن نقل عنهم في كتابه متقدمين عليه زمانًا؛ صارت إفادته منهم إما بواسطة تلاميذهم، أو كتبهم التي تركوها مِن بعدهم.
٢. أنه ربما صرّح بالمصدر الذي استقى منه، وربما لم يصرح[١] .
٣. إذا صرّح بالمصدر أورده بالإسناد أحيانًا، وفي أحيان لا يورده مسندًا.
٤. أفاد الأزهريّ من تلك المصادر علومًا متنوعة: كالقراءات، واختيار بعض وجوهها، وغريب القرآن، والشعر، ولغات العرب، ونوادرها، وغير ذلك.
٥. حين يفيد مِن غيره فإنه ينقل بتمحيص ونقد؛ فتراه يتعقّب، ويردّ هذا، ويقبل ذاك، ويرجّح، ويختار حين تتعدد الآراء أمامه[١]، لكن هذا ليس بإطلاق.

---

(١) يُنْظَر مثلاً: القراءات وعلل النحويين فيها ١/ ص ٧٧ و ٩٧ و ١٠١ و ١٠٥.

تقول الدكتورة نوال الحلوة: (وقد نص الأزهريّ على ذكر أبي إسحاق الزجاج في تسعة وخمسين موضعًا أما ما ضمّنه بلا نسبة فهو أكثر من ذلك). مقدمة التحقيق ص ٣٧، وقالت مثل ذلك في إفادته من الفراء، انظر: ص ٣٨ .

د – منهج المؤلف في الكتاب:

افتتح الأزهريّ كتابه – كغيره من المؤلفين– بخطبة، ضمَّنَها ما يأتي:

- الثناء على الله بتيسير القرآن للذكر، وجعله هداية ومعجزة ونورًا، وتبيينه للناس على لسان نبيه محمد ﷺ.
- بيان معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ...﴾ (٢)، وذكر وجوهٍ من تيسيره على الناس.
- كلامه في معنى حديث الأحرف السبعة. وقد سقط من النُّسخ؛ لكنْ ذَكَره مختصرًا في تهذيب اللغة في مادة (ح ر ف)؛ فيمكن التدارك منه.
- ذكره أسانيده إلى القراء السبعة. لكنّ أول أسانيد قراءة ابن كثير (ت ١٢٠ هـ)، وأسانيد قراءة نافع (ت ١٦٩ هـ). داخلة ضمن السقط المشار إليه سابقًا، أما أسانيد بقية القراء فموجودة في النُّسَخ.
- بعد خطبة الكتاب أخذ يسرد سور القرآن مستعرضًا ما في حروفها من قراءات بَيَّنَ وجوهها وعِللها؛ وطريقته في عرض ذلك على النحو الآتي:

١. يُوْرِد الآية التي وقع فيها الحرف المقروء بأكثر من وجه.
٢. يذكر القراءات الثمان الواردة في الحرف، ويعتني بضبطها(٣).
٣. يسمي مَن قرأ بالقراءة؛ وربما كان ذلك بالسند المتصل إلى القارئ(٤).
٤. إنْ كان الحرف المقروء به له نظائر في القرآن قرئ بها؛ فإنه ينبه عليه(٥).
٥. يذكر الحُجَّة لكل قراءة، إما بذكر دليل من الوحيين، أو وجهٍ نحويّ، أو تصريفيّ، أو صوتيّ، أو دلاليّ، أو شِعريّ(٦).

---

(١) يُنْظَر مثلاً: القراءات وعلل النحويين فيها ١ / ٥٣ ، حين احتج للقراءات في حرف (حسنًا) من قوله تعالى: ﴿ .. وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا .. ﴾ البقرة: ٨٣؛ ومن الأمثلة على هذا – أيضًا– ما ورد في ١ / ١٠٧ ، حين ذكر احتج للقراءات في حرف (رضوانه) من قوله تعالى: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ١٥.

(٢) القمر: ١٧.

(٣) وهي قراءات السبعة ومعهم يعقوب الحضرميّ.

(٤) يُنْظر مثلاً: القراءات وعلل النحويين فيها ١/ ٣٢ و ٣٤، و ٧٣، و ٧٥، ٢٥٦، ٢٩١.

(٥) يُنْظر مثلاً: القراءات وعلل النحويين فيها ١/ ٧٠، و ٧٢، و ٧٥.

(٦) يُنْظر مثلاً: القراءات وعلل النحويين فيها ١/ ٣٤، و ٥٦، و ٦٣، و ٩٦، ١٣٨، ٢٤١.

٦. قد يذكر وجوهًا أخرى قرئ الحرف بها، وينبّه على حكمها فيقول: (وهذا غلط أو شاذة) ونحو ذلك؛ ويسمي مَن قرأ بها[١].

٧. يذكر في الآية ما لا تعلق له بالقراءات، كذِكره معنى بعض الآيات، أو الوقف والابتداء[٢].

٨. يكثر من الاختيار بين القراءات، وإذا اختار أو رجّح فإنه يذكر علة ذلك[٣].

هـ – نموذجان من كتاب الأزهريّ يتبين منهما شيء من طريقته:

النموذج الأول:

قال: (قوله:﴿ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم ﴾[٤] قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب:((تظّاهرون)) مشددة.وقرأ الكوفيون:((تظاهرون)) بتخفيف الظاء.

من قرأ: ((تظّاهرون)) بالتشديد فالأصل فيه: تتظاهرون، فأدغمت التاء في الظاء لقرب المخرجين، وشددت الظاء. ومن قرأ بالتخفيف فالأصل فيه: تتظاهرون – أيضًا – فحذفت التاء الثانية لاجتماعهما.

وتفسير ((تظّاهرون)): تتعاونون، يقال: ظاهر فلان فلانًا: إذا عاونه، وقال الله تعالى:﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ ﴾ [٥] معناه: وإن تعاونا، والظهير: المعين، وقال الله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ﴾ [٦] أي: معينًا)[٧].

في هذا المثال يلحظ أنه بعد أن ساق الآية، شَرَع في بيان اختلاف القراء في الحرف، وسمَّاهم، وأورد القراءتين مضبوطتين، ثم أردف ذلك بذكر عِلَّة كل قراءة – وقد كانت العلة صوتية – ثم بيّن معنى الحرف مع أنه لا تعلق له بالقراءتين.

النموذج الآخر:

قال: (وقوله جل وعز: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗ ...﴾ [٨] حكى سفيان الثوري عن عاصم، وهارون، وحسين عن أبي بكر عن عاصم: ((وما كان صلاتَهم)) نصبًا ((إلا مكاءٌ وتصديةٌ)) بالرفع.

---

(١) يُنظر مثلاً: القراءات وعلل النحويين فيها ١/ ٢٤، و ٣٧؛ و ٢/ ٤٩٩، و ٥٦٦، و ٧٨٣.

(٢) يُنظر مثلاً: القراءات وعلل النحويين فيها ١/ ٥٩، و ٩٨، و ١٣٤، و ١٥٤، و ١٥٦، و ٢/ ٤٥٦، و ٦٤٢.

(٣) يُنظر مثلاً: القراءات وعلل النحويين فيها ١/ ٥٠، و ٥٨، و ٦١، و ٦٣، و ١٦٠، ٢٥٨ و ٣٠٣، و ٣١٤.

(٤) البقرة: ٨٥.

(٥) التحريم: ٤.

(٦) الفرقان: ٥٥.

(٧) القراءات وعلل النحويين فيها ١ / ٥٣ – ٥٤.

(٨) الأنفال: ٣٥.

وقرأ الباقون: ((صلاتُهم)) رفعًا، ((إلا مكاءً وتصديةً)) نصبًا.

قال أبو منصور: من قرأ ((وما كان صلاتَهم)) نصبًا ((إلا مكاءٌ وتصديةٌ)) رفعًا؛ لأنهم [نصبوه] [(١)] على أنه خبر كان، والاسم مؤخر وهو قوله: ((إلا مكاءٌ))، ومن قرأ: ((وما كان صلاتُهم)) رفعًا ((إلا مكاءً)) نصبًا؛ جعل ((صلاتُهم)) اسمًا لكان و((مكاءً)) الخبر. وهذا هو وجه الكلام، وعليه أكثر القراء. قال الثوريّ: قال لي الأعمش لما أَعْلَمْتُه قراءة عاصم: إنْ لَحَنَ عاصم تلحن أنت؟!

قال أبو منصور: وليس يَلْحَن، وكان عاصم فصيحًا، وكان كثيرًا يقرأ الحرف على وجهين ولا يقرأ إلا بما سمع، ووجهه في العربية صحيح)[(٢)] .

في هذا المثال يُلحظ أنه بدأ بذكر الآية المختلف في قراءة حروفها، ثم أورد الاختلاف في قراءتها، وسمى قارئي كل قراءة، وقد استعمل الإسناد في ذلك، ثم بيّن علة كل قراءة، وذكر نقولات في ذلك، وتعقّبها بكلام من عنده، معضودًا بالحجج.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب حجة القراءات لابن زنجلة

أ–اسم الكتاب:

لا اختلاف في أنَّ اسم كتاب أبي زرعة ابن زنجلة هو: (حجة القراءات).

وهذه التسمية اشتهر بها الكتاب بحسب ما هو موجود في فهارس المخطوطات التي دلّت على نسختَي: جامعة برنستون (جاريت)، وجامع الزيتونة (العبدلية)[٣].

ب–قيمة الكتاب العلمية:

هذا الكتاب تظهر قيمته العلمية من خلال ما يأتي:

١. أنه مِن كتب الاحتجاج للقراءات السبع المشهورة.
٢. يُعَد من أوائل الكتب المؤلفة في الاحتجاج للقرءات؛ حيث إن مؤلفه –فيما يقال– توفي حوالي سنة ٤٠٣ هـ.
٣. حُسْن ترتيبه، ووضوح منهجيته.
٤. تنوّع مصادر المؤلف في كتابه، سواء كانت سماعية أو قياسية، وسيأتي حديث مفصّل عن هذا.

(١) الزيادة هذه من نسخة الكتاب الذي حققه الدكتور المزيديّ باسم معاني القراءات، ص ١٩٩. وهي زيادة يقتضيها السياق ليتم المعنى.

(٢) القراءات وعلل النحويين فيها ١ / ٢٤٣.

(٣) يُنْظر: الفهرس الشامل للتراث العربيّ والإسلاميّ المخطوط، علوم القرآن (مخطوطات القراءات) ص ٦٩.

٥. احتجاجه بالقراءة الشاذة، وأحسب أنه بهذا أحد مظان شواذ القراءات[١].

٦. اعتنى بالحجج النحوية، وأفاد فيها مِن علماء النحو في المدرستين: البصريّة والكوفية على حدٍّ سواء[٢].

ج- مصادر المؤلف في الكتاب:

لَمَّا تحدّثْتُ عن قيمة الكتاب أشرتُ إلى تنوّع مصادر المؤلف فيه، حيث إنه لم يكن يلقي معلوماته هكذا دون أن يوثّقها بإحالتها إلى مصادرها، وسأفصّل هذا على نحو ما يأتي:

أولاً: مصادر ابن زنجلة في ما يتعلق بالقراءات: لا ريب أنه أفاد من كتاب السبعة (ت ٣٢٤ ه)؛ إذ إنه اقتصر على الاحتجاج للسبع التي سبّعها ابن مجاهد[٣].

ثانيًا: ما يتعلق بالاحتجاج للقراءات: يجد الناظر في كتابه أن من مصادره فيه ما يأتي:

١. شواهد من الوحيين: فيحتج للقراءة بنظائرها من القرآن الكريم، أو بحديث نبويّ شريف[٤].

٢. آثار عن الصحابة وتابعيهم كابن عباس -رضي الله عنهما- (ت ٦٨ هـ)، ومجاهد (ت ١٠٤ه)، والحسن (ت ١١٠ هـ) وغيرهم.

٣. مَن سبقه مِن العلماء، وسيأتي ذكر بعضهم قريبًا.

٤. ديوان العرب من الشعر[٥].

ثالثًا: طريقته في الإفادة من المصادر:

١. حرص على أنْ يسمّي مَن ينقل عنهم؛ فكثيرًا ما ترددت أسماء علماء أجلّاء في كتابه؛ أمثال مجاهد (ت ١٠٤ ه)، والخليل (ت١٧٠ ه)، وسيبويه (ت ١٨٠ ه)، والكسائيّ (ت ١٨٩ ه)، وهارون الأعور (ت ٢٠٠ ه)، واليزيديّ

---

(١) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ١١٠، و ١١٢، و ١٢٣، و ١٣٦، و ١٣٨، و ١٤٤، و ١٥٨، و ١٨١، و ٢٤٤، و ٢٦١، و ٢٦٥، و ٣٠٦.

(٢) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ١١٥، و ١٣٨، و ١٧٨، و ١٨٥، و ٢٠٨.

(٣) بل إنه صرح بذكر ابن مجاهد مرتين: في أثناء حديثه وهو يعرض خلاف القراء مرة، ومرة أخرى عند في بيان معنى حرف من الحروف. يُنْظَر: حجة القراءات ص ١٥٥، و ٣٠٨.

(٤) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ٩٣، و ٩٥، و ٩٨، و ٩٩، و ١٠٤، و ١٠٨، و ١١١، و ١١٩، و ١٢٦، و ١٣٨، و ٢٢١، و٢٨٣، و ٣٣٣.

(٥) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ٩٧، و ١٠٥، و ١٠٨، و ١١٤، و ١٣٠، و ١٤٣، و ١٥٩، و ١٧٩، و ١٩٠، و ٢٠٤، و ٢٣٧، و ٢٤٥، و ٢٥١، و ٢٥٨، و ٢٦٦، و ٢٧٣ .

(ت ٢٠٢ ه)، وقطرب (ت ٢٠٦ ه)، والفَرَّاء (ت ٢٠٧)، وأبي زيد الأنصاريّ (ت ٢١٥ه)، وأبي عبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤ ه)، والأصمعيّ(ت ٢١٦ ه)، والأخفش (ت ٢٢١ ه)، والمازنيّ (ت ٢٤٧ ه)، وأبي حاتم (ت ٢٥٥ ه)، والمبرِّد (ت ٢٨٦ ه)، وثعلب (ت ٢٩١ ه)، والزجّاج (ت ٣١١ ه)[١].

٢. قد يُبْهِم فلا يسمي صاحب القول إنما يقول: (وقال آخرون) (وكان قوم)، ونحوها من العبارات[٢].

٣. ينقل عن المصدر مباشرة وهذا هو الغالب، وأحيانًا ينقل عن شخص لم يدركه فيكون بواسطة تلاميذ ذلك العالِم[٣].

٤. أفاد ابن زنجلة من تلك المصادر علومًا متنوعة: كالخلاف في مذاهب القراء، والتفسير، والشعر، ولغات العرب، وعاداتها، وخلاف النحو وغير ذلك. ولا يكتفي بالنقل دون تمحيص، بل إنه ينتقد كلام غيره من العلماء، ويناقشهم في ذلك، ويبيّن مراد العالِم من كلامه[٤].

د- منهج المؤلف في الكتاب:

١. لم يكن للمؤلف مقدمة، إنما اكتفى بالبسملة وسؤال ربه التيسير، ثم شرع في المقصود بذكر مذاهب القراء في الفاتحة وحججهم فيها، ثم السور بعدها.

٢. يأتي بالآية التي حَرْفثها محل خلاف بين القراء، ثم يذكر مذاهب القراء ذاكرًا أسماءهم. ثم يحتج لكل مذهب، وهذا هو الأصل عنده، وأحيانًا يسرد مذاهبهم فإذا أتى عليها شرع في بيان حجة كل قراءة.

٣. تارة يكتفي بذِكْر حجة واحدة للقراءة، وتارة يأتي بالحجج المتعددة المتنوعة في بابها ما بين سماعية وقياسية[٥].

٤. يحيل – أحيانًا- إلى كلامه السابق[٦].

٥. ينبّه إلى سبب مخالفة القارئ لأصله، أو عدم اتحاد مذهبه في النظيرين[٧].

---

(١) تجد ذلك كثيرًا جدًّا بما يغني عن الدلالة عليه.

(٢) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ٢٣٩، و ٢٤٨، و ٢٧٧، و٢٨٩، و ٢٩١، و ٣٢٢.

(٣) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ١٢٥، و ١٥٠، و ٢١٥.

(٤) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ١١٠، و ١٧٤، و ١٩٠، و ٢١٤، و ٢٤٠، و ٢٧٨، و ٢٨٥، و٢٨٩، و ٣٤١.

(٥) سيأتي –بإذن الله– نماذج ينكشف بها ما ذَكَرْتُه في هذه النقطة وما قبلها.

(٦) يُنْظَر: حجة القراءات ص ١٥٧، و ٣١٩، و٣٣٥، و ٥١٧، و ٥٣٤، و ٦١٨، و ٦١٩.

(٧) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ١٠٦، و ١١٣، و ١٥٧، و ١٦٠، و ١٩٤، و ١٩٦، و ٢٠٢، و ٢٤٦، و ٥٧٩، و ٦٨٨.

٦. ينبّه إلى سنن العرب وعاداتها في الكلام[١].
٧. يُوْرِد إشكالات وأسئلة يحتملها ثم يجيب بما يدفعها ويحلّها[٢].
٨. يَخْتَار – ولكن نادرًا– بين القراءات، ويَقْرِن اختياره بالتعليل[٣].
٩. قد يأتي بقواعد لغوية يختم بها كلامه عن الحجج، وفي بعض يمهّد بها[٤].
١٠. الأصل عنده أنه لا يُصَرِّح باسم قائل الشاهد الشِّعريّ، إلا نادرًا جدًّا[٥]، أو يرويه عن غيره مصرحًا باسمه[٦].
١١. يستطرد فيتطرق – أحيانًا– للخلاف الفقهيّ[٧].
١٢. يستطرد أحيانًا فيأتي بأقوال المفسرين[٨]، لكنه حين يستطرد –أحيانًا– فربما كان ذلك لأجل أن فيه معنىً يتعلق بترجيح إحدى القراءات على الأخرى، ونحو ذلك[٩].

هـ – نموذجان من كتاب ابن زنجلة يتبين منهما شيء من طريقته:

النموذج الأول:

قال: " ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [١٠] قرأ حمزة والكسائي ((تقاة)) ممالة، وحجتهما أن (فعلْتُ) منها بالياء إذا قلت: (وقيت) فأبقيا في لام الفعل دلالة على أصله في (فعلت) وهي الإمالة.

وقرأ الباقون بغير إمالة. وحجتهم: أن فتحة القاف تغلب على الألف فتمنعها من الإمالة.

وأما قوله: ﴿ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [١١] فإن الكسائيّ قرأ بالإمالة وحده.

---

(١) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ١٠٨، و ١١٤، و ١١٨، و ١٣٦، و ١٦٥، و ١٧٩، و ١٨٠، و ٢٣١، و ٢٧٦، و ٣٣٨، و ٣٧١، ٣٧٨، ٤٥٣، ٥٠١.

(٢) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ١٣٣، و ١٦٠، و ١٨٧، و ١٩٤، و ١٩٩، و ٢٠٠، و ٢٠١، و ٢٤٢، و ٢٤٣، و ٢٥٣، و ٢٧١، و ٢٩٧، و ٣٠٥، و ٣٢٦، و ٣٤٥، و ٦٢٦.

(٣) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ١١٤، و ١٣٦ و ٢٧٢، و ٢٨٢، و ٣١٥.

(٤) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ١٣١، و ١٤٠ ، و ٢٠٧، و ٢٣٠، و ٢٣٣، و ٦٨٣، و ٧٦٨.

(٥) يُنْظَر إلى تصريحه في: حجة القراءات ص ٢٣٧، و ٣٦٠، و ٧٤٤.

(٦) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ٢٦٦، و ٣١٧.

(٧) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ٢٠٥، و ٢٢٣، ٢٣٥.

(٨) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ٢٦٦، و٣٢١، و ٣٤٦، و ٣٦٧، و ٤٠٢، و ٤٧٨، و ٤٨١، و ٤٨٩.

(٩) يُنْظَر مثلاً: حجة القراءات ص ٤٧١، و ٥١٢–٥١٣.

(١٠) آل عمران: ٢٨.

(١١) آل عمران: ١٠٢.

فإن سأل سائل فقال: لم أمال حمزة الأولى وفخم الثانية؟

الجواب: أن الأولى كتبت في المصاحف بالياء، والثانية بالألف، وكان حمزة متبعًا للمصحف. والدليل عليه أن يعقوب قرأ ((تقية))، وأصل الكلمة (وُقْيَة) على وزن (فُعْلَة) فقلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت (وُقاة)، ثم أبدلوا من الواو تاءً كما قالوا: (تُجَاه) وأصله: (وُجاه)" [(١)].

في هذا المثال يُلحظ أنه بدأ كالمعتاد بذِكْر الآية المختلف في قراءة حرفها، ثم أورد مذاهب القراء في ذلك الحرف، مقرونة بحججها، فسمى أصحاب المذهب الأول، وذكر مذهبهم وحجتهم، ثم ذكر أصحاب المذهب الثاني ولم يسمهم إنما اكتفى بقوله: (الباقون) على عادة أصحاب هذا الفن عند عرض مذاهب القراء. بعد ذلك ذكر مذهبهم، وحجتهم.

ونلحظ أنه لفت النظر إلى تغيّر مذهب حمزة في نظير هذا الحرف في السورة نفسها، وأثار سؤالاً محتملاً عن سرِّ هذا الاختلاف لدى حمزة، وأجاب عنه، بحجة صرفية، وهذا تنبيه منه على عدم اتحاد مذهب القارئ فيما يبدو أنه من النظيرين.

النموذج الآخر:

قال: "﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۞ أَوْ تَقُولُوٓا۟ ...﴾[(٢)]

قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو ((من ظهورهم ذرياتهم)) بالألف وكسر التاء. وحجتهم أن (الذريات): الأعقاب المتناسلة، وأنها إذا كانت كذلك كانت أكثر من الذرية. واحتج أبو عمرو في ذلك عند قوله ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [(٣)] أن (الذرية) ما كان في حجورهم، وأن (الذريات) ما تناسل بعدهم. وأحال أن تكون (ذريات) بقد قوله ((قرة أعين))، وقال: لأن الإنسان لا تقر عينه بما كان بعده.

وقرأ أهل مكة والكوفة ((ذريتهم)). وحجتهم أن ((الذرية)) لما في الجحور وما يتناسل بعد. والدلالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾[(٤)] فلا شيء أكثر من ذرية آدم، والذين لم يرهم آدم من ذريته أكثر من

(١) حجة القراءات ص ١٥٩-١٦٠.

(٢) الأعراف: ١٧٢- ١٧٣.

(٣) الفرقان: ٧٤.

(٤) مريم: ٥٨.

الذين رآهم. وقد أجمعوا هنا على ((ذرية)) بلا خلاف بين الأمة فكان رد ما اختلفوا إلى ما أجمعوا عليه أولى بالصواب. وقوله عقيب ذلك: ((وكنا ذرية من بعدهم)) بلفظ واحد أدل دليل على صحة التوحيد إذ كانوا هم الذين أخبر عنهم وقد أجمعوا على التوحيد"[١].

في هذا المثال يُلحظ أنه سلك منهجه المعتاد فبدأ بِذِكْر الآية المختلف في قراءة حرفها، ثم بمذاهب القراء في ذلك الحرف، قارنًا كل مذهب بحجته، فسمى أصحاب المذهب الأول، وذكر مذهبهم وحجتهم، ثم ذكر أصحاب المذهب الثاني لكنه هذه المرة بالإشارة إلى بلدانهم فقال: (اهل مكة والكوفة). بعد ذلك ذكر مذهبهم، وحجتهم.

كما نلحظ أنه رجَّح إحدى القراءتين على الأخرى، مستخدمًا القياس على إجماع القراء على النظير، وصنيعه هذا من الترجيح الممنوع بين أحرف القراءات الثابتة، ومعروف أن القراء يأخذون أحرفهم عن اتباع وأثر، قال الداني: "مع العلم بأنَّ القراءة ليست بالقياس دون الأثر"[٢].

ورغم ذلك فلم يطّرد هذه العلة في كثير مما يعلل به اختلاف القراء، ولا يجعلها قرينة يرجّح بها، وقد بيّن الفيفيّ خطأه في ذلك بكلام مستوفى[٣].

المبحث الثالث: موازنة بين كتاب: القراءات وعلل النحويين فيها للأزهريّ، وكتاب حجة القراءات لابن زنجلة

بعد تطواف بين كتابَي الأزهريّ وأبي زُرعة ابن زنجلة هذا أوان الشروع في عقد موازنة بينهما؛ وبعد القراءة في الكتابين؛ بدا لي ما يأتي:

أ- نقاط الاشتراك بينهما:

١. عنايتهما بالتوجيه النحويّ، والإفادة في ذلك من علماء المدرستين الشهيرتين فيه: الكوفة والبصرة على حد سواء.
٢. كثرة الاحتجاج بالشِّعْر، فالأزهريّ احتج بنيّف ومائة شاهد، وابن زنجلة بما يقارب تسعين شاهدًا.
٣. ذِكْرُهما ما لا تعلق له بالقراءات حيث يستطردان إلى تفسير الآية وبيان معناها.

---

(١) حجة القراءات ص ٣٠١-٣٠٢.

(٢) جامع البيان ١/ ٤٤٣.

(٣) يُنْظَر: القراءات القرآنية بين الأثر والقياس ص ٤٤٩ - ٤٥٠.

ب- نقاط الاختلاف بينهما:

١. كتاب ابن زنجلة أوجز من كتاب الأزهريّ.
٢. افتتح الأزهريّ كتابه بخطبة، أما ابن زنجلة فلم يكن لكتابه خطبة.
٣. يتميز الأزهريّ بالرواية بالإسناد.
٤. الأزهريّ يذكر قراءة الثمانية، وابن زنجلة اقتصر على قراءة السبعة.
٥. ابن زنجلة يذكر القراءات الشاذة عند الاحتجاج للقراءة الصحيحة، أو عند ذكْر اختيار أحد من الأئمة للقراءة، أما الأزهريّ فإنه يورد القراءات الشاذة في أثناء عرضه مذاهب القراء في الحرف.
٦. أحياناً يكون هناك اختلاف بينهما في القراءة المنسوبة للقارئ.
من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [١]، قال الأزهري: "قرأ ابن كثير بالصاد" [٢]، أما ابن زنجلة فقال: "قرأ ابن كثير في رواية القوَّاس: السراط ..."[٣].
٧. قد يكون هناك اختلاف بينهما في طريقة ضبط الحرف المقروء به.
مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ... الآية ﴾ [٤]، قال الأزهريّ فيها: "قرأ ابن كثير، وأبو عمرو ((إذ يَغْشاكم النعاسُ)) بفتح الياء والشين ..."[٥]، وقال ابن زنجلة: "قرأ أبو عمرو وابن كثير ((إذ يغشاكم النعاسُ)) بالألف ..." [٦].
٨. الأزهريّ يذكر حجج القراءات بعد أن يستوفي الكلام على خلاف القراء في الآية، بينما الأصل عند ابن زنجلة أنْ يذكر حجة كل قراءة بعدها مباشرة.
٩. يُلْحَظ أن ابن زنجلة يكثر من الاحتجاج بالسنّة للقراءة؛ و مثل هذا لا يلحظ عند الأزهري.
١٠.لم يذكر ابن زنجلة شيئًا عن بعض السور: كسورة الجمعة، والليل، والضحى، والشرح وغيرها، وهي موجودة عند الأزهريّ.

---

(١) الفاتحة : ٦ .
(٢) القراءات وعلل النحويين فيها ١/ ١٦ .
(٣) حجة القراءات، ص ٨٠ .
(٤) الأنفال: ١١.
(٥) القراءات وعلل النحويين فيها ١ / ٢٤١ .
(٦) حجة القراءات ص ٣٠٨ .

١١.في نهاية إيراد حجج القراءات يعقّب ابن زنجلة بذكر قاعدة تضبط تلك الحجج، مثال ذلك: قوله بعد أن ذكر الخلاف في ((دأبًا)): "كل اسم ثلاثي ثانيه حرف من حروف الحلق جاز حركته وإسكانه"[(١)]، وليس هذا مما يجده القارئ عند الأزهريّ في كتابه.

١٢.اعتنى الأزهريّ في كتابه بلغات العرب، وكيفية أدائها للكلمات، بخلاف ابن زنجلة فإن اعتناءه دون اعتناء الأزهريّ.

١٣.على أن مما تشابه فيه الأزهريّ وابن زنجلة كثرة الاحتجاج بالشعر؛ إلا أن ما وثّقه الأزهريّ منها بنسبته إلى قائله أكثر مما وثّقه ابن زنجلة. حيث وثّق الأزهريّ بضعًا وثلاثين شاهدًا، أم ابن زنجلة فلم تصل العشرة.

١٤.أحيانًا يستطرد ابن زنجلة في ذكر مسائل ليس لها علاقة في الاحتجاج للقراءة؛ كأن يذكر خلافًا في مسألة فقهية، أو يدفع إيهامًا في الآية، ونحو ذلك[(٢)].

هذا جملة ما تم رصده من نقاط تشابه واختلاف بين الأزهريّ وابن زنجلة في كتابيهما؛ ومن هنالك يتبيّن عدم صحة دعوى من قال: إن كتاب حجة القراءات لابن زنجلة هو كتاب علل الأزهريّ نفسُه.

ورغم ذلك لا يلزم من القول بهذه الفروق بين الكتابين أن ابن زنجلة لم يُفِد من الأزهريّ؛ فلربما أفاد ابن زنجلة منه؛ لاسيما مع اتحاد مدرستهما النحوية؛ مدرسة الكوفة.

---

(١) حجة القراءات ص ٣٥٩ . وانظر مثالاً ثانيًا على هذا ص ١١٤ حين تكلم عن عادة العرب في الأسماء الأعجمية المعربة كاسم (إبراهيم)، ومثالاً آخر: ص ٢٣٣ ؛ حيث تكلم على أنواع ما تدخل عليه (أنْ) في الكلام.

(٢) انظر مثلاً: حجة القراءات ص٢٣٥، و ٤١١ ؛ و ٥٥٩.

الخاتمة

بحمد الله ومنّه تم ما كنت بصدده، من عقد موازنة بين كتابَي: القراءات وعلل النحويين فيها للأزهريّ، وبين حجة القراءات لابن زنجلة ؛ وقد خرجتُ مِن ذلك بالنتائج الآتية:

- أن للبيئة أثرًا في تكوين ثقافة الشخص؛ فالأزهري تفتّق لسانه وحسه بالعربية حين عاش مع الأعراب مدة أسره عندهم.
- كتاب الأزهري عُرِف باسمين [القراءات وعلل النحويين فيها] و [معاني القراءات] .
- يعد كتاب الأزهريّ أول كتاب احتج للقراءات الثمان.
- الإفادة من السابقين ذوي العلم الأصيل تكسب المؤلَّف قيمة علمية.
- مما يُحمَد للمؤلف: أمانته العلمية، وأنْ يُفِيد مِن غيره ولكن بدقة وتمحيص.
- الارتباط الوثيق بين القرآن وعلومه من جهة وبين علوم العربية من جهة أخرى.
- ابن زنجلة من العلماء المتضلعين في علم القراءات، المتفننين في علوم أخرى تتصل بالقرآن الكريم.
- لا صحة لما قيل: إن حجة القراءات لابن زنجلة هو القراءات وعلل النحويين فيها للأزهريّ، إلا أن ابن زنجلة غيّر في اسم الكتاب! ولا ريب أن في هذا تجنيًا عليه.
- يستخدم ابن زنجلة القياس للترجيح به بين القراءات الصحيحة الثابتة وقد يكون فيما استخدمه شيء من القياس الممنوع، ولم يظهر لي مثل هذا عند الأزهريّ، والأمر يحتاج إلى استقصاء أكثر.
- عدم التسليم لكل دعوى تذاع عن أحد من العلماء؛ إلا بعد التحري والتقصي عن حقيقتها.

ويوصي الباحث بدارسة موسعة عن القياس في القراءات بين أبي منصور الأزهريّ وأبي زُرعة ابن زنجلة من خلال كتابَيْهما.

والحمد لله في الفتح والختم

المصادر والمراجع

- الأزهريّ، محمد بن أحمد، ١٤١٢ ه- ١٩٩١ م، القراءات وعلل النحويين فيها، حقوق الطبع محفوظة لدى المحقق د. نوال الحلوة.
- الأزهريّ، محمد بن أحمد، ٢٠٠١ م، الطبعة الأولى، تهذيب اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ.
- الأنباريّ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاريّ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، الطبعة الثالثة، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، الزرقاء الأردن، مكتبة المنار.
- الحمد، غانم قدوري، (تحقيق) تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه لابن زنجلة، مجلة معهد الإمام الشاطبيّ للدراسات القرآنية، المجلد١، العدد ٢، ذو الحجة ٢٠٠٦م، صفحات ٢٣١- ٢٩٥.
- الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، الطبعة الأولى، معجم الأدباء، بيروت، دار الغرب الإسلاميّ.
- الدانيّ، أبو عمرو عثمان بن سعيد، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، الطبعة الأولى، جامع البيان في القراءات السبع، الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، كلية الدراسات العليا والبحث العلميّ، جامعة الشارقة.
- الداوديّ، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الدوسريّ، إبراهيم بن سعيد، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤ م، الطبعة الأولى، معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، عمادة البحث العلميّ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الذهبيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة الثانية، تاريخ الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربيّ.
- الزركليّ، خير الدين بن محمود الدمشقيّ، ٢٠٠٢ م، الطبعة الخامسة عشر، الأعلام، دار العلم للملايين.
- ابن زنجلة، أبو زُرْعة عبدالرحمن بن محمد، ١٤٢٢ ه- ٢٠٠١ م، الطبعة الخامسة، حجة القراءات، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة.
- السبكيّ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، ١٤١٣ ه، الطبعة الثانية، طبقات الشافعية الكبرى، مصر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- سزكين، الدكتور: فؤاد، ١٤٠٨ه – ١٩٨٨ م، تاريخ التراث العربيّ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لبنان– صيدا، المكتبة العصرية.
- الشهريّ، علي بن عامر بن علي، الاحتجاج للقراءات في كتاب حجة القراءات للشيخ أبـــي زُرعة، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ٢٠٠٤ م.
- الفهرس الشامل للتراث العربيّ والإسلاميّ المخطوط، علوم القرآن (مخطوطات القراءات).
- الفيروزآباديّ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، ١٤٢١ هـــ – ٢٠٠٠ م، الطبعة الأولى، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع.
- الفيفيّ، يحيى بن محمد الحكميّ، ١٤٤١ه – ٢٠٢٠ م، القراءات القرآنية بين الأثر والقياس، كلية الآدابة والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس– مركز دراسات الدكتوراه، ١٤٤١ ه – ٢٠٢٠ م.
- القفطيّ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، ١٤٠٦ هـــ– ١٩٨٦ م، الطبعة الأولى، إنباه الرواة على أنباء النحاة، القاهرة–بيروت، دار الفكر العربيّ– مؤسسة الكتب الثقافية.